الفصل الأول

البحث

١- تعريفه

٢- أنواعه

٣- أهدافه

٤- مؤهلات الباحث وأخلاقه

قالوا:

«اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم. لا تثنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه. فيه مرابيع النعم، ومصابيح الظلم. لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه».

الإمام علي بن أبي طالب

«إن غبطة الاكتشاف والمعرفة لأعظم مكافأة تقدمها الحياة للباحث، كما أنها أعظم لذة اعترف بها العالم بأسره».

ويليام بيفردج (W. BEVERIDGE)

«ولعل من أبرز خصائص البحث العلمي أنه يحرر العقل من قيود النقل والتقليد، ويطلقه في ميادينه الواسعة، معتمداً على قوته التي يظهر أنها لا تحدّ، وعلى اختباره العلمي الراهن».

د. فؤاد صروف

«غاية البحث القصوى تحري الحقيقة في شتى مراتبها، من أبسطها إلى أعقدها».

د. شارل مالك

«والفائدة التربوية من تدريس الفيزياء، ليست في اكتساب المعلومات، بل وفي حيازة الطريقة العلمية، كما تطبّق في الفيزياء»

د. بيار مراد

«نقل المعرفة عن الغير، هو اكتساب لمعرفة ساكنة. المعرفة المتحرّكة لا تنقل. إنها تعاش، إنها البحث العلمي. والعلم، في نظرنا، ليس معرفة بالمعنى الساكن. إنه معرفة متحركة، معرفة حية، تتزايد، وتنمو باستمرار، بفضل البحث العلمي».

د. حافظ قبيسي

«إن التعليم الجامعي، والبحث العلمي، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، متكاملا، ولا يمكن أن يكون هنالك تعليم جامعي صحيح، دون أن يرافقه بحث علمي أصيل».

«ولا تصبح الجامعة جديرة بهذا الاسم، إن لم تكن مركزاً حيّاً للبحث العلمي، وهو العنصر الأساسي في تطوير نوعية التعليم، وفي تقدم البلد اقتصادياً، واجتماعياً».

الجمعيّة اللبنانية لتقدّم العلوم
(من المذكّرة إلى رئيس الجمهورية،
٢٠ آب، ١٩٦٨م).

البحث وتعريفه:

بعد الاطلاع على معظم المعاجم والموسوعات العربيّة والغربيّة في تعريف البحث، وبعد القراءات الواسعة في هذا المجال، نختار تعريفاً يجمع باختصار كلّ ما جاء على لسان العلماء الذين ألّفوا في منهج البحث، أو تحدّثوا عنه، فنقول:

إنّ البحث هو محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها بتقصّ دقيق، ونقد عميقْ، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك، لكي تسير في ركب الحضارة العالميّة، وتساهم فيه مساهمة إنسانيّة حيّة شاملة. أمّا إذا ابتعد البحث عن هذا الهدف فلا تدوم له الحياة، بذلك يضيع المجهود الذي لم تتوافر فيه المؤهّلات، ولم يتسلّح صاحبه بالفضائل العلميّة التي تحدّث عنها جاك بارزان (Jacques Barzun)، في كتابه «الباحث الحديث»[1]، وهي: الدقّة في جميع مظاهر البحث. ومحبّة النظام والتنظيم. والتحلّي بالمنطق. والأمانة. والشعور بالمسؤولية. والقدرة على التأمّل والتفكير.

ويشبّه بارزان البحث بالتمثال، والباحث بالنحّات الذي يجهد نفسه بالمثابرة والاستمرار، لا يكلّ ولا يملّ، مستعيناً بمعلوماته

---

(1) Jaques Barzun & H.F. Graff, the Modern Researcher (Nerwyork: 1957), pp. 56 - 60.

العامّة، واختباراته الشخصيّة، ومحاولاته المتكرّرة حتى يبرز تمثاله مكتملاً مثلما يبتغيه، متوخّياً فيه الدقّة والمهارة والإخلاص والأمانة. فإذا رضي عنه رفعه على قاعدة عالية، أو سمّرة في أرض في مرسمه، مضيفاً إلى الفنّ عامّة، والنحت خاصّة، دراسة قيّمة، جديرة بالحياة، تنطق، وتشعّ بهجة وأملاً.

مناحي البحث:

على أنّ منهج البحث في جميع حقول المعرفة واحد. وهو التوفيق بين النشاط الذاتي المبدع، والمعلومات والأدلّة والوسائل، كما تظهر في سياق البحث. وكلّ بحث، مهما كان نوعه وأدواته، لا يخلو من مناحي ثلاثة، كما أنّ كلّ فنّ أو علم لا يخلو من البحث وفضائله. ولا نغالي إذا حسبنا الفضائل التي ذكرها كلّ من تصدّى للبحوث ومناهجها فضائل وثيقة الاتصال بالإنسان، ومن ثمّ بالإنسانيّة جمعاء. أمّا المناحي الثلاثة فهي:

أولاً: المنحى الذاتيّ، ويقابله باللغة الإنكليزيّة

(The Subjective Mode)

وهذا المنحى الذاتيّ يتألّف من قوى الابتكار، والتجديد، والرغبة الملحّة في الاستمرار، والمثابرة على العمل، والتقصّي الدقيق في البحث. وبعبارة أخرى يتناول منهج التفكير عند الباحث.

ثانياً: المنحى الموضوعيّ، ويقابله باللغة الإنكليزيّة

(The Objective Mode)

وهذا المنحى الموضوعيّ يتألف من قوّة العمل والتطبيق، والتنظيم للوسائل أو الموادّ المستخدمة. بذلك يقود البحث قيادة منطقيّة، متسلسلة، واضحة، ويقوم بوظيفة العقل المفكّر، أو الربّان الذي يقود السفينة إلى شاطئ الأمان، بعد أن اهتدى إلى كنوز البحر!

ثالثاً: المنحى الأسلوبيّ، ويقابله باللغة الإنكليزيّة

(The Stylistic Mode)

وهذا المنحى الأسلوبيّ يقوم بدور مهمّ في الربط بين المنحيين الذاتيّ والموضوعيّ ربطاً وثيقاً من دون أن يترك بينهما أيّ فجوة أو شقّ. وهذا الربط القويّ القويم يكون في الجمع بين قوّة الابتكار، وقوة العمل والتطبيق. وتقوم اللغة عادة بدور مهمّ جداً في الجمع والربط المحكم، فهي هنا تشبه الألوان التي يتسخدمها الفنّان الرسّام ليعبّر عن إبداعه وتفكيره في صورة منسجمة. متكاملة، كما يراها هو، ويرضى عنها.

أنواع البحث:

ونرى أنّ جميع البحوث، مهما يكن هدفها وأنواعها، لا تخلو من المناحي التي ذكرناها، بيد أنّ البحوث تختلف باختلاف

الحقول، وتتفرّع إلى فروع علميّة أو اجتماعيّة أو فنيّة. وبناء على اختلاف الحقول، وإن كان البحث في جوهره واحداً، تظهر البحوث في أنواع وأشكال، وقد صنّفها معظم الذين ألّفوا في منهج البحث، نذكر أهمّها: البحوث التجريبيّة، والتاريخيّة، والوصفيّة، والفلسفيّة، والاجتماعيّة. والتطبيقيّة، والثقافيّة، والفنّية.

البحث بين المقالة والرسالة والأطروحة:

على أنّ البحث يطول ويقصر. وقد أطلقت الجامعات الغربيّة على البحوث أسماء تختلف باختلاف قصرها وطولها، حدّها وتشعّبها. وبما أنّنا لم نجد بتّاً صريحاً في هذه التسميات باللغة العربيّة، ارتأينا أن نطلق على البحث القصير لفظة مقالة، ويقابلها باللغة الإنكليزيّة: **Term - Paper**، وعلى البحث الطويل لفظة رسالة، ويقابلها باللغة الأنكليزيّة: **Thesis**، وهي تسمية أكاديميّة جامعيّة، تطلق على بحث يفرض على الطلاب في بعض الجامعات للحصول على درجة البكالوريوس (**B.A.**)، أو على درجة الماجستير (**M.A.**)، أو الدبلوم، كما تسمّى في بعض المعاهد.

ويطلق على البحث الطويل لفظة أطروحة، ويقابلها باللغة الإنكليزيّة: **Dissertation**، وهي تسمية أكاديميّة، جامعيّة أيضاً،

وإنّما تطلق هذه التسمية في أكثر الجامعات الغربيّة على البحث الذي يعدّ للحصول على درجة الدكتوراه فقط. وفيما يلي نحاول أن نميّز بين هذه التسميات لعلّنا نقتبسها في بحوثنا العربيّة الجامعيّة.

المقالة: (Term - Paper)

مررنا جميعاً، أساتذة ومرشدين ومشرفين، بتجربة التوجيه في البحث العلميّ عامّة، ولا سيما في المقالة، بيد أنّ المقالة تكون غالباً فصليّة، قصيرة، لا نتوخّى فيها الامتداد الذي نتوخّاه في الرسالة أو الأطروحة، وإنّما تتيح للطالب أن يضيف بعض الشيء إلى ما يكون قد أفاده من المحاضرات الفصليّة، وما تيسّر له من المؤلّفات في الموضوع الذي اختاره، بذلك تتهيّأ له تجربة في جمع الموادّ، وترتيبها ترتيباً منطقيّاً، والتأليف بينها، وفي تحمّل المسؤوليّة، ولو على نطاق ضيّق، ومحاسبة نفسه، متدّرباً على الأمانة، والدقّة في النقل، والفهم، والنقد، ومحبّة العمل، والإخلاص له، من دون أن ننتظر منه اكتشافاً جديداً مبتكراً لسببين، أولهما: قصر الوقت الذي لا يسمح له بذلك، وثانيهما: عدم إلمام الطالب بالموضوع إلماماً عميقاً، وعدم استعداده وإعداده. أمّا الغاية من كتابة المقالة فتكون تقييماً لعمل الطالب، ومعرفة لمقدرته على الاختيار، والتحديد، والتنظيم، والتفكير القويم، وتنمية الفضائل الكامنة فيه. وقد يستطيع كاتب المقالة أن يفتح

أفقاً جديداً في مقالته، أو يصل إلى اكتشاف جديد. وإنّما يكون في ذلك قد شذّ عن المطلوب، ولكلّ قاعدة شواذ.

الرسالة: (Thesis)

وهذه التسمية، كما ذكرنا سابقاً، تسمية أكاديميّة تطلق على بحث يقدّم لمتمّمات درجة علميّة، إمّا أن تكون درجة البكالوريوس، وإمّا درجة الماجستير، أو الدبلوم. وقد تختلف الرسالة عن المقالة أيضاً بكونها أطول وأوسع مدى، تستغرق مدّة أطول، أقلّها عام دراسيّ. نتوخّى فيها بحثاً مبتكراً، أو ترتيباً جديداً لموضوع ما، أو اكتشافاً لم يسبق إليه أيّ باحث آخر، بذلك تتعدّى الرسالة الطالب وقاعة المحاضرات، والأستاذ، إلى أيّ قارئ يرغب في قراءتها، ويستفيد منها. على أنّ الرسالة، في كثير من الأحيان، تنشر فتصبح في عداد الكتب الثقافيّة العامّة، لمساهمتها في الموضوع، بينما تنتهي المقالة غالباً بانتهاء الفصل، وتبقى ضمن الطالب، والقاعة، والأستاذ.

الأطروحة: (Dissertation)

أمّا الأطروحة فهي كالرسالة تماماً من حيث التحديد والهدف. وإنّما تستغرق وقتاً أطول. وهي مصطلح تطلقه بعض الجامعات الغربيّة على البحث الذي يقدّم للحصول على درجة الدكتوراه. وقد ارتأينا أن نتبنّى هذا المصطلح، ونستعمل له مقابلاً في العربية

لكي نميّز البحوث التي تقدّم للحصول على درجة البكالوريوس، أحياناً، وعلى درجة الماجستير أو الدبلوم، من البحوث التي تقدّم للحصول على درجة الدكتوراه. ففي لغتنا العربيّة مجال لمثل هذه التسميات، وهذا الميز.

أهداف البحث:

أقصيراً كان البحث أم طويلاً، محدوداً أم متشعباً، مقالة أم رسالة أم أطروحة، أم تحقيقاً لمخطوط فغايتنا وأهدافنا، نحن الأساتذة المرشدين المشرفين، واحدة، وهمّنا واحد. وعملنا مستمرّ في توجيه الطالب العربيّ توجيهاً عادلاً، مستقيماً، قويماً. يكتسب منه الطالب فضائل خلقيّة أصيلة، تدفعه نحو مستقبل زاخر بالخلق والإبداع والمحبّة والعطاء، وتفتح أمامه أبواباً جديدة من المعرفة، والقدرة على المعرفة. بذلك نشجّع الطالب الباحث على اقتحام المكتبات بذكاء ومقدرة، وعلى البحث بتجرّد ونزاهة، ونقد دقيق، وتفكير شخصيّ حرّ طليق. كما نأخذ بيده لكي يبحث عن الحقيقة بتجرّد دقيق، ويساهم مساهمة فعّالة في المعرفة الإنسانية. وقد تتجلّى هذه المساهمة عند الطالب الباحث في أحد المظاهر التالية:

أولاً: في استنباط طريقة جديدة في معالجة بحث ما.

ثانياً: في إحياء أحد الموضوعات القديمة، وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً، لاتشوبه شائبة.

ثالثاً : في اكتشاف حقائق لم يسبقه إليها أيّ باحث من قبل.

رابعاً: في فهم جديد للماضي، وبعث جديد للحاضر، وللمستقبل.

ولعلّ أعظم ما نصبو إليه، وما نبتغيه من الطالب الباحث، هو إحساسه بغبطة التجربة في البحث، وفي الاكتشاف. هذه الغبطة التي لا توازيها غبطة ولا لذّة، كما أنّ اللّذة الكبرى التي نصبو إليها نحن الأساتذة المرشدين والمشرفين، هي انتصار طلاّبنا من كلا الجنسين، ومساهمتهم في المعرفة، وتسلّحهم بفضائلها، وهي لذّة لا تعادلها لذّة، وغبطة لاتعادلها غبطة. وقد قال حاجي خليفة في لذّة البحث عن المعرفة: «فلا يخفى على أهله أنّه لا لذّة فوقها، لأنّها لذّة روحانيّة، وهي اللذّة المحضة... ألذ وأشهى من اللذائذ الجسمانيّة»[1].

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١: ١٩-٢٠.

مؤهلات الباحث وأخلاقه

قالوا:

«طالب العلم كالغائص في البحر، لا يصل إلى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة».

أرسطو

«تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والوقار. وتواضعوا لمن تتعلمون منه».

«العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير منهم».

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ... وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور».

«أربع إذا كنّ فيك، فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّة في طعمة».

الرسول محمد بن عبدالله

«لايزال الرجل عالماً ما تعلّم، فإذا ترك التعلّم وظنّ أنه قد استغنى، واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون».

سعيد بن جبير

«يستدلّ على عقل الرجل بميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنّبه ما يكسبه عاراً، ويورثه سوء السمعة».

«لا تستطيع أن تعي العلوم السنيّة، حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنيّة».

«المتواضع في طلب العلم أكثر الناس علماً، كما أنّ المكان المنخفض أكثر البقاع ماء».

الخليفة ابن المعتزّ

«من صفة الجاهل الجدل، والمراء، والمغالبة».

«وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان، ويورث التفرقة بعد الألفة، والوحشة بعد الأنس».

محمد بن الحسين الآجري

«على الطالب أن يكدّ في طلب العلم حتى يدرك فوائده، ويقتنص شوارده. فقد قيل: لا يصبر على الدرس إلا من يرى العلم مغنماً، والجهل مغرماً (خسارة)، فيحتمل نصب الدرس، ليدرك راحة العلم، وينفي عنه معرّة (عيب) الجهل. فإن نيل العظيم بأمر عظيم. وعلى قدر الرغبة تكون المطالب، وبحسب الراحة يكون التعب».

أبو الحسن الماوردي

«على الطالب أن يكون طاهر النفس عن رذائل الأخلاق، ومذموم الصفات. فطهارة النفس، وحسن الأخلاق أساس للنبوغ في العلم. وربما حصل رديّ الأخلاق على العلم، غير أنه لن ينتفع، ولن ينفع به، ولذلك فكأنه لم يحصله».

«نظرت إلى نفسي، فرأيت كثرة حججها، فدخلت الخلوة، واشتغلت

بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً، فامّدح لي من العلم ما لم يكن عندي أصفى وأرقّ منه مما كنت أعرفه».

الغزالي

«على العالم الباحث الإيمان بالاستقامة، والانصراف عن طلب الاستحسان، وعليه أن يعمل صامتاً».

الأستاذ شيث نعمان

(مدير البحوث العلمية والصناعية ببغداد، ١٩٥٦م)

«فالاستقراء، إذاً، ثم القياس، ونشدان الحقيقة، متجرّداً من أيّ هوى، والإقرار بها، ولو جاءت على خلاف ما نشاء، رائد البحث العلمي».

د. أسامة عانوتي

مؤهّلات الباحث:

أكان الباحث طالباً أو معلماً أو عالماً، على السواء، فيجب أن يتحلّى بمؤهّلات وفضائل يقاس بها، ويحاسب عليها. وقد سبق للعرب القدامى أن اهتمّوا بفضائل الباحث الخلقيّة، اهتمامنا بها اليوم، وقد نبّه الإمام مالك بن أنس[1](-١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، إلى أنّه لا يؤخذ علم الحديث من أربعة بقوله:

١- «لا يؤخذ (الحديث) من سفيه».

٢- «ولا يؤخذ من صاحب هوى، يدعو الناس إلى هواه».

٣ـ «ولا من كذّاب يكذب في أحاديث الناس».

٤ـ «ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحدّث به»[2].

ونحن اليوم نهتمّ بشخصيّة الباحث في جميع قضايا البحث، وننبّه إلى أمور رأيناها تتوافر في العالم الصبور، النزيه، الخالي من الهوى، الصادق في قوله وفعله، القادر على تحرّي الحقائق

---

(١) ولد بالمدينة، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ. كان أحد الأئمة الأعلام، محدّثاً مقرئاً، وقوراً (راجع سيرته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤: ١٣٥ وما بعدها).

(٢) أسد رستم، مصطلح التاريخ، ص: ١٠٠-١٠١.

بدقّة وفهم، وإدراك. وقد نستطيع تقسيم الصفات هذه إلى فئتين: صفات أخلاقيّة تتعلّق بإنسانيّة الباحث. وصفات علميّة تتعلّق باختباره، وتجربته، ومعرفته للبحث، ومنهجه.

أمّا الصفات الأخلاقيّة فأشار إليها جاك بارزان، كما ذكرنا سابقاً[1]، بالفضائل (Virtues): أهمّها الحياد الفكريّ، والموضوعيّة، والتجرّد التامّ من الأهواء، والأمانة، والصبر على العمل المستمرّ، والتحلّي بالتواضع والاحترام، وعدم مهاجمة أيّ عالم إن وقع في أخطاء، وحسن الصيت، والتحمّل للمسؤوليّة. وكلّها مناقب يتحلّى بها الباحث الذي نذر قلبه وعقله في سبيل البحث الحرّ الرفيع، مكبّاً ليل نهار على قلمه، مثابراً على عمله، لا يخاف العزلة، ولا الوحدة في سبيل المعرفة.

ولعلّ ابن أبي الربيع المتوفّى سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، قد سبق جاك بارزان في حديثه عن الفضائل الأخلاقيّة، التي يجب أن يتحلّى بها الباحث خاصّة، والإنسان عامّة، لكي يستطيع أن يصل إلى أعلى المراتب الإنسانية، وبالتالي إلى أعلى درجات السعادة الأبديّة، فجعل ابن أبي الربيع الفضائل

---

(١) راجع البحث، ص: ٥٣ وما بعدها.

ثلاث عشرة. ولأهميّتها ارتأيت أن ألخّصها بما يلي[1]:

الأولى: أن يكون سويّاً، صحيح الأعضاء المساعدة، صحيح العقل.

الثانية: أن يكون صحيح المعرفة، قادراً على جودة التخيّل.

الثالثة: أن يكون قويّ التحليل، والتركيز، متحلّياً بالمنطق.

الرابعة: أن يكون ملمّاً بالمعلومات المساعدة، جيّد الحفظ لها.

الخامسة: أن يكون دقيقاً، جيدّ الفطنة، ذكيّاً.

السادسة: أن يكون حسن العبارة، جيّدها، عارفاً باللغة المساعدة على ذلك، فضلاً عن لغته.

السابعة: أن يكون مثابراً، صبوراً، محبّاً للتعلّم، والاستفادة، من دون تعب ولا ملل، قادراً على تحمّل المسؤوليّة الملقاة على عاتقه.

الثامنة: أن يكون متجرّداً، موضوعيّاً، أميناً لكلّ ما يقرأ، أو يقبس.

التاسعة: أن لا يكون شرهاً، متكالباً على الشهوات.

العاشرة: أن يكون طيّب الذكر والصيت، مترفّعاً عمّا يشين.

---

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك (تحق ناجي التكريتي؛ بيروت ـ باريس: مط الهدف، ١٩٧٨م)، ص: ٥٥ ـ ٥٦.

الحادية عشرة: أن يكون ملتزماً بالعدالة، مبغضاً للجور، متواضعاً.

الثانية عشرة: أن يكون قويّ العزيمة، قويّ النفس، متحرّراً من الخوف.

الثالثة عشرة: أن يكون بعيداً عن الطمع في متاع الدنيا من دينار ودرهم.

فهذه الفضائل يحتاج إليها كلّ إنسان أباحثاً كان أم حاكماً، أم عاملاً، أم قائماً بأيّ عمل، أو مسؤوليّة، مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

وفي رأي إخوان الصفاء يحتاج طالب العلم إلى سبع خصال: «أوّلها السؤال والصمت. ثمّ الاستماع. ثم التفكّر. ثم العمل به. ثم طلب الصدق من نفسه. ثم كثرة الذكر أنّه من نعمْ الله. ثم ترك الإعجاب بما يحسنه»[1].

أمّا الآفات التي يجب على الباحث والعالم أن يتجنّبها فمنها الكبر، والعجب، والافتخار... ومنها كثرة الخلاف والمنازعة... وطلب الرياسة... والتعصّب، والعداوة،

---

(١) رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء، ١: ٣٤٧ـ٣٤٨. وكان يقال: أوّل العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس نشره (ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ١٢٢).

والبغضاء... (و) كثرة الرغبة في الدنيا، وشدّة الحرص في طلبه»[1].

ولعلّ من أدهش مصنّفات التراث العربي وأروعه هو المصنّف الذي وضعه ابن جماعة (-٧٧٣هـ/ ١٣٧١م)، مقارباً حضارة العصر الحديث، وسابقاً عليها في التحدّث عن آداب العالم الباحث، وآداب المتعلّم.

وجاء مصنّفه غاية في التقسيم والتنظيم، وقد سمّاه: «تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم»[2]، مفصّلاً حديثه عن آداب العالم في نفسه، فذكر من آدابه ومسلكه المحافظة على الصدق والأمانة، وصيانة علم الأسبقين، والتنزّه عن دنيّ المطالب، وتنزيه علمه من التوصّل إلى جاه، أو مال، أو شهرة، والاعتدال في زهد المعيشة، والتحلّى بمكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، واحتمال أذى الناس، وتطهير باطنه وظاهره، والبعد عن الأخلاق الرديّة كالغلّ، والحسد، والحقد، والغضب، والغشّ، والرياء، والعجب، والبخل، والطمع، والتنافس، والمباهاة، والمداهنة، والدجل، والنميمة،

(١) رسائل إخوان الصفاء، ١: ٣٤٨. من الآفات أيضاً: احتقار من دونه في العلم، وحسد من فوقه (ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢: ١٢٢).

(٢) من منشورات دار الكتاب العالمي ببيروت، ١٩٩٠م. د. ثحف عبد الأمير شمس الدين.

والكذب. وعلى العالم الباحث ملازمة الجدّ والاجتهاد والمواظبة قراءة وبحثاً ومطالعة وفكراً، والاستمرار بالبحث والجمع والتصنيف والتأليف، مع تمام الفضيلة، وكمال الأهليّة، والتواضع ممن هم دونه[1].

وإلى جانب هذه الفضائل التي يجب أن يتحلّى بها العالم الباحث، هناك صفات علميّة أخرى تتعلّق بالمعرفة. فالباحث يحتاج إلى العلوم، واللغات التي تساعده على قراءة كلّ ما يتعلّق بموضوعه، وفهمه فهماً دقيقاً صحيحاً مهما كلّفه الأمر من كدّ وجدّ وسفر، وتحمّل المشاقّ في سبيله، كما يحتاج الباحث إلى قدرة على النقد والتحليل، وتحّري الحقيقة في كلّ ما يقرأ، لكي يختار بدقّة ومهارة، ويعرض بحجّة قويّة منطقيّة، منظماً عمله، منسّقاً، مبوّباً، رابطاً أجزاء بحثه بلغة جيّدة، واضحة، مشرقة.

كما أن الطالب الباحث يجب أن يتنبّه، وهو يدوّن الموادّ، لما يعترضه من آراء مختلفه. وقد شرح ريدر (Reeder) في كتابه: «كيف تكتب رسالة» المنهج العلميّ الذي يجب أن يتبعه الطالب الباحث في تدوين الموادّ. اختصرناه في النقاط التالية:

١ـ لا يبدي الباحث آراءه الشخصيّة من دون أن يعزّزها بآراء لها قيمتها.

---

(١) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص: ٧١ ـ ٨٠.

٢ـ لا يأخذ الباحث أيّ رأي، وإن صادراً عن عالم متخصّص، حقيقة راهنة، لا تقبل الجدل ولا المناقشة.

٣ـ لا يتناول الباحث رأياً من الآراء حقيقة راهنة، لأنّه صدر عن الأكثريّة، أو عن لجنة، أو عن جماعة.

٤ـ لا يعدّ الباحث القياس أو المشابهة حقيقة، لا تقبل المناقشة.

٥ـ لا يعتقد السكوت عن بعض النتائج حقيقة راهنة.

٦ـ لا يحذف الباحث أيّ دليل، أو حجّة، أو نظريّة، لا توافق رأيه، أو مذهبه، أو عقيدته.

٧ـ لا يعتمد الباحث على الروايات، أو الاقتباسات، أو التواريخ غير الواضحة، أو غير الدقيقة.

٨ـ لا يخطئ الباحث في شرح بعض المدلولات[1].

هذه هي الفضائل الأخلاقيّة والعلميّة المهمّة التي يجب أن يتحلّى بها العالم الباحث المتصوّف «الذي يروّض نفسه على الجدّ والجلد، وعلى العمل الشاقّ المستديم، وعلى الابتعاد عن الجلبة والضوضاء، وعلى الصبر على ما يبعثه البحث أحياناً

---

(1) Ward Reeder, How to write a thesis (Illinois: 1925), pp. 14-18.

في النفس من شعور بالوحشة والغربة، وما يدعو إليه من وحدة وانزواء وتأمّل»[1]. وما العالم الباحث إلا رسول المعرفة إلى ركب الحضارة الإنسانيّة الكبير.

(١) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، ص: ٩٠. راجع أيضاً: علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص: ٤٣ ـ ٥٥.